

اسم المقال: النزعة السردية في رسائل صاحب بن عباد

اسم الكاتب: عمار عبدالعزيز العساف

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/9195>

تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 03:44 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على [info@political-encyclopedia.org](mailto:info@political-encyclopedia.org)

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>





جامعة الشارقة  
UNIVERSITY OF SHARJAH

# مجلة جامعة الشارقة

مجلة علمية محكمة

للعالم  
الإنسانية  
والاجتماعية



المجلد 19، العدد 2

ذو القعدة 1443 هـ / يونيو 2022م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339

## النزعة السردية في رسائل الصّاحب بن عبّاد

عمار عبد العزيز العساف<sup>(1)</sup>

تاريخ القبول: 2021-08-24

تاريخ الاستلام: 2020-09-25

### ملخص البحث:

يُسلط هذا البحث الضوء على السرد في رسائل الوزير الصّاحب بن عبّاد، فقد وظّف الكاتب هذا التقنية في نقل أحداث المعارك التي جرت بين البويهيين وخصومهم، وخصوصاً تلك المعارك التي استمرت فترة طويلة من الزمن، وتحلّلها كثير من الأحداث المؤثرة في مسار العلاقات بين الأمراء المتنافسين.

ويربط البحث بين السرد وعناصر أخرى كانت تُهيمن على قلم الكاتب أثناء الكتابة، فهذا السرد لم يكن من أجل نقل الأحداث فحسب، بل كان مُشبعًا بغايات أخرى مُضمرة في النصّ تجلّت في إعلاء كعب الأمير بوصفه الطرف الذي يمثّل الخير، والتقليل من شأن الطرف الآخر الذي يمثّل الشرّ.

وانطلاقاً من هذه الثنائية يسرد الصّاحب بن عبّاد أحداث المعارك التي جرت بين عضد الدولة البويهي وقابوس بن وشمكير، وقد وظّف السرد كتقنية للتأثير في وعي المتلقي، وبتّ الأفكار التي تُعلي سلطة الأمير عضد الدولة، وتُظهر الأمير قابوس بن وشمكير بمظهر الغادر الذي لم يحفظ العهد.

**الكلمات الدالة:** السردية، الزّمان، المكان، التأثير، الوصف، التّرسل، البناء، القيم، المتلقي، الأحداث.

(1) وزارة التربية والتعليم (العين - الإمارات العربية المتحدة)

## أولاً- المقدمة:

يُعدُّ مصطلح السّرد من المصطلحات الحديثة نسبياً، فقد تسرّب إلى الثقافة العربية في القرن الماضي، مع بروز المذهب البنيوي. لكنّ ظهور المصطلح حديثاً لا يعني أنّ العرب القدامى لم يوظفوا مفهومه في شعرهم ونثرهم، فقد وجدنا بعض الشعراء يميلون إلى السّرد القصصي في قصائدهم، وكذلك ترك لنا الأدباء القدامى نماذج سردية مكتملة العناصر؛ كالمقامات والنوادر والمسامرات، وغير ذلك. ولكن على الرّغم من ذلك لم تتل هذه الأنواع الأدبية القديمة العناية الكافية، فما زال الاهتمام مُنصبّاً على الأنواع الأدبية الحديثة.

إنّ تراثنا الأدبي غنيّ بالنماذج السردية التي تستحقّ التوقف عندها ودراستها، ومن هذه الأنواع الرسائل الأدبية التي لم يتم تسليط الضوء عليها حتّى الآن، على الرّغم من مكانتها في الأدب العربي. فقد استعان بعض الكُتّاب بالسّرد في رسائلهم؛ ومنهم الوزير الصّاحب بن عبّاد الذي وظّف السّرد في رسائله الحربية، فنقل إلى المتلقي الأحداث التي جرت بين البويهيين وأعدائهم، وما رافقها من مناورات كلامية وعسكرية قبل أن يتحقّق النصر في النهاية. وهذا يدفعنا للتساؤل عن الغاية التي توخّاها الصّاحب من هذا السّرد؟ وماذا حقّق من إضافة لرسائله؟ وماهي الأشكال السردية التي وظّفها الكاتب؟

كلّ هذه الأسئلة تتبادر إلى الذهن ونحن نقرأ رسالته التي وثقت حرب عضد الدولة البويهي (ت372 هـ) مع قابوس بن وشمكير (ت403 هـ)، إذ استعان الكاتب بفنّ السّرد لنقل وقائع المعركة إلى المتلقي. ولم يكن هذا الاختيار اعتباطياً، فلرسالة أهمية أدبية وتاريخية، فقد كتبها الصّاحب موظفاً براعته الإنشائية لإثبات حقّ عضد الدولة في الرّئاسة بعد خلافه مع أخيه (يُنظر: الجزري، ابن الأثير، 2009، 7 / 113).

## ثانياً- الترسّل الفني عند الصّاحب بن عبّاد:

شهدت الكتابة الفنية في القرن الرابع الهجري نهضة راقية، فقد لمعت أقلام مُبدعة ارتقى أصحابها سلّم الترسّل الفني، وتركوا بصمات واضحة على النثر العباسي عموماً. ومن هؤلاء الكُتّاب الوزير كافي الكفاة، الصّاحب بن عبّاد (ت385 هـ)، الكاتب الذي علا نجمه في الكتابة والرّئاسة، فتولّى الوزارة في عهد بني بويه، ووصل إلى مكانة عالية لم يسبقه إليها أحد من الوزراء، حتى إنّه كان يُطاع في كلّ ما يقول (يُنظر: الحموي، ياقوت، دت، 6 / 174). وكان من يؤدّن له في الدخول عليه "يظنّ أنّه قد بلغ الآمال، ونال الفوز

بالدنيا والأخرة، فرحاً ومسرّة، وشرفاً وتعظيماً، فإذا حصلَ في الدار، وأذن له في الدُخول إلى مجلسه، قَبِلَ الأرضَ عند وقوع بصره عليه ثلاثَ مرّاتٍ أو أربعٍ" (الحموي، ياقوت، دت، 6 / 146). وقد عَظمت مكانته عند بني بويه، فكان الأمير فخر الدّولة البويهّي مُعجَباً بشخصيته، حتّى قيل إن الصّاحب لو قال قولاً في مسألة، وقال فخر الدّولة قولاً آخر، امتثل قول الصّاحب (يُنظر: ابن عباد، الصّاحب، دت، المقدمة ص ح).

وقد اتخذ من مذهب الصنعة طريقاً له في الكتابة، وأسرف في استخدام المحسنات اللفظية حتّى رويت عنه الطُرف في ذلك (التوحيد، أبوحيان، 1961، ص 88). وكان يتباهى دوماً بطريقته في الكتابة حتّى إنّه قال: " بلُغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحق الصابئ، ولو شئتُ لذكرتُ الرابع؛ ويعني نفسه" (الحموي، ياقوت، دت، 2 / 51).

والحقُّ أنّ الصّاحب يُعدُّ من أبرز الكُتّاب في القرن الرابع الهجري، سواء وافقناه في قوله السابق أو لم نوافق، فقد نال ثقةَ أمراء بني بويه مدّة ثمانية عشر عاماً، قضاها منافحاً عنهم بالقلم والسيف، فذكر مآثرهم، وخدّ انتصاراتهم برسائلٍ ماتزال إلى الآن وثائق تاريخية أزالَت اللثام عن كثير من الأحداث والشخصيات في ذلك العصر. يقول مصطفى الشكعة عن رسائل الصّاحب: "[هي] ليست مجرد وصفٍ للحرب، وإنما هي دروسٌ في فنّ الحرب، والمحافظة على العهد، والنيل من خُلُق العُدّ، وتمجيد الإيمان بالحقّ الذي يقود إلى النصر، وهي بعد ذلك كلّه وثائقٌ تاريخية، أثبتت من دقائق التفاصيل التاريخية ما أهمله كُتّاب التاريخ، فجاءت رسائل الصّاحب بن عباد وثائق رقيقة القدر عظيمة القيمة، كشفت النقاب عن كثيرٍ من أحداث زمانها، وعرّفت بكثيرٍ من المناسبات والشخصيات" (الشكعة، مصطفى، 1993، ص 416). ومن هذه الرسائل رسالته في توثيق حرب عضد الدّولة البويهّي مع قابوس بن وشمكير، فقد نشأ خلاف بين عضد الدّولة بن بويه وأخيه فخر الدّولة، وكان من نتائجها أن انهزم فخر الدّولة، ولجأ إلى الأمير قابوس بن وشمكير فأكرمه، ولكنّ عضد الدّولة أغار على إمارة قابوس، جرجان وطبرستان، فاستولى عليها سنة 371هـ، وفرّ قابوس لاجئاً إلى خراسان. وتولى الصّاحب مهمة نقل أحداث المعارك إلى المتلقي، بعد أن انتصر عضد الدّولة، فكانت رسالته تسويغاً لتلك الحرب، ووسيلة إعلامية موجهة للمتلقي.

## ثالثاً- مفهوم السرد:

لا نتوقع أن نعثر على مفهوم لغوي (السرد) في المصادر القديمة، كما يتصوره الباحثون في العصر الحديث. ولكن العرب، شأنهم شأن الشعوب الأخرى، كان لديهم وعي فطري بهذه الفكرة، فكلمة "سرد" مستخدمة بكثرة في المصادر القديمة، ولها استخدامات عديدة، وحسبنا أن نورد بعضاً منها عسى أن نقدم تصوراً المفهوم السرد كما فهمه العرب قديماً.

يقول الخليل "170هـ": "سرد القراءة والحديث يسرده سرداً، أي يتابع بعضه بعضاً" (الفرايدي، الخليل بن أحمد، 1998، 7 / 227). ويقول أحمد بن فارس "395هـ": "سرد يدل على توالي أشياء كثيرة يتصل بعضها ببعض" (ابن فارس، أحمد، دبت، 3 / 157). ويقول صاحب لسان العرب "630هـ": "السرد في اللغة: تقدم شيء إلى شيء تأتي به متساقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً. سرد الحديث ونحوه يسرده سرداً إذا تابعه. وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له. وفي صفة كلامه، صلى الله عليه وسلم: لم يكن يسرد الحديث سرداً أي يتابعه ويستعجل فيه. وسرد القرآن: تابع قراءته في حذر منه. والسرد: المتتابع (ابن منظور، 200، 7 / 165). ويقول الفيروز أبادي "817هـ": "إن السرد جودة سياق الحديث" (الفيروز أبادي، 2005، 1 / 301). وتكاد كل المصادر القديمة تكرر هذه المعاني لكلمة "السرد"، وهي كما نرى تسلط الضوء على اتصال الحديث وتتابعه، وجودة إخراجها للمتلقى، من دون إسهاب في النوع أو الكيفية.

ولانتزيب على علماء اللغة العربية، فمصطلح السرد "Narratology" من المصطلحات الحديثة التي ابتدعها أصحاب المذهب البنوي في القرن الماضي. وكانت بداية المصطلح مع الشكلانيين الروس، ولكن يُعدُّ تزفتيان تودوروف "1939 - 2017م" هو من صاغ المصطلح لأول مرة تحت اسم "Narrative logy" علم السرد، وقد وضعه رغبة في دراسة الخطاب أسلوباً وبناءً ودلالة. وقد ميّز ثلاثة جوانب؛ الجانب الأول: زمن السرد، وقد خصّصه لدراسة العلاقات بين زمن القصة وزمن الخطاب. والجانب الثاني: مظاهر القصة، وبحث فيه الكيفية التي يتمُّ بها الإخبار عن الأحداث. والجانب الثالث: صيغ السرد، وهي الطريقة التي عُرضت فيها الحكاية (تودوروف، تزفتيان، 1990، ص31). ومنذ ذلك الوقت توالى الدراسات التي تناولت هذا المصطلح بالدراسة تارة، وبالتطبيق تارة أخرى.

ومن أبرز المشتغلين على المصطلح جيرار جينت "1930 - 2018" الذي استفاد كثيراً من التنظير الذي وضعه تودوروف، حيث ميّز بين ثلاثة مصطلحات: القصة، والمحتوى

السردّي، والخطاب. واقتداء بمقولات تودوروف قسّم جينت تحليله للمحكي لثلاث مقولات رئيسية هي: مقولة الزمن، ودرس فيها العلاقة بين زمن الخطاب وزمن القصة. ومقولة الصيغة، ودرس فيها أنواع التمثيل السردّي. ومقولة الصوت، وقد اتجه فيها إلى المتلقي وحلّل علاقة السارد بالمتلقي.

وقد تُرجم هذا المصطلح إلى اللغة العربية بما يحمله من مفاهيم النقاد الغربيين، وانبرى غير واحد من النقاد لتحليله وبيان حدوده، فورد في معجم المصطلحات العربية أن السرد هو "مصطلح حديث للقصّ، لأنّه يشتمل على قصّ حدثٍ أو أحداثٍ أو خبرٍ أو إخبارٍ سواءً أكان ذلك من صميم الحقيقة أو من ابتكار الخيال، والسرد بعد ذلك عملية يقوم بها السارد أو الحاكي أو الراوي، وتؤدي إلى النص القصصي، والسرد موجودٌ في كل نصّ قصصي حقيقي أو مُتخيّل" (وهبة، مجدي، المهندس، كامل، 1984، ص198). وينظر عز الدين إسماعيل إلى السرد على أنّه وسيلة لنقل الحكاية من كونها صورة إلى لغة، أو كما يقول: "نقل الحادثة من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية" (إسماعيل، عز الدين، 2003، ص187). أمّا عبد الملك مرتاض فإنّه يعود بالمصطلح إلى مفهومه المعجمي القديم، فيقول: "هو الطريقة التي يختارها الروائي أو القاصّ، أو حتّى المبدع الشعبي الحاكي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي. فكان السرد إذاً هو نسيج الكلام، ولكن في صورة حكي، وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم، حيث تميل المعاجم العربية إلى تقديمه بمعنى النسيج أيضاً" (مرتاض، عبد الملك، 1993، ص83). أمّا عبدالله إبراهيم فيرى أن السرد هو "وصف أفعال يُلتمس فيه لكلّ موصوفٍ فاعلاً وقصداً وحالةً وعالمًا مُمكنًا وتبدلاً وغايةً، فضلاً عن الحالات الذهنية والشعورية والظروف المتصلة بها" (إبراهيم، عبدالله، 2005، ص13). ومهما يكن من أمر فإنّ النقاد مهما اختلفوا في رؤيتهم للسرد لا يبتعدون عن الدلالة التي وضعت له عند ولادته، فهو صورة لغوية للحدث، يقوم بنسجها الحاكي أو الروائي أو القاصّ، ويتواصل بها مع المتلقي.

#### رابعاً- وظيفة السارد:

يحدّد جيرار جينت خمس وظائف للسارد؛ وهي: الوظيفة السردية القائمة على الإخبار عن الحكاية، والوظيفة الإيديولوجية التي تتضمن التعليم أو الدعوة لمذهب معين، والوظيفة الانفعالية التي تظهر فيها مشاعر السارد، ووظيفة إدارة الخطاب نفسه وتنظيمه داخلياً كنوع من التوجيه، والوظيفة التواصلية التي تتيح للسارد التواصل مع المروري له. وقد

جعل من الوظيفة السردية وظيفة أساسية في كل عمل أدبي، "فلا يمكن لأيّ ساردٍ أن يحيد عنها من دون أن يفقد صفة السارد" (جينت، جيرار، 1997، ص264). أمّا باقي الوظائف الأخرى فهي وظائف فرعية قد تظهر واحدة منها-أو أكثر- في العمل الأدبي، أو قد تظهر كلّها. ولا يمكن للسارد أن يتحاشاها، فهي تُعدُّ من صميم الكتابة السردية، وفقدانها يعني إلغاء ماهية السرد.

وقد توسع بعضهم في وظيفة السارد، فتفرعت من الوظائف الخمس التي وضعها جينت ووظائف أخرى منبثقة منها، فكانت الوظيفة الإبداعية؛ وتظهر جلياً في القصص الرمزية التي تحمل مغزى (ضيف الله، سيد إسماعيل، 2008، ص295)، والوظيفة التنسيقية؛ وتتمحور حول تنسيق الزمن (المرزوقي، سمير، شاكور، جميل، 1986، ص108)، والوظيفة الاستشهادية؛ التي تتعلّق بمصدر الحكاية (عبدالله، محمد، 2011، ص338)، والوظيفة الشعرية؛ وهي من وظائف الاتصال، والوظيفة الانفعالية؛ التي تسمح للسارد بنقل مشاعره للمتلقّي (بيرنس، جيرالد، 2003، ص58)، والوظيفة الاعتبارية؛ التي تجذب المتلقّي لاستخلاص العبرة (ضيف الله، سيد إسماعيل، 2008، ص293)، والوظيفة الانطباعية؛ وتتجلى في أدب السيرة الذاتية حين يتحدث السارد عن أفكاره ومشاعره (المرزوقي، سمير، شاكور، جميل، 1986، ص110)، والوظيفة الانتباهية؛ وتكون باستخدام أفعال الانتباه للتواصل مع المتلقّي (بيرنس، جيرالد، 2003، ص148)، والوظيفة التوزيعية؛ وذلك حين يقوم السارد بسرد حدثين متزامنين، وغيرها من الوظائف الأخرى. وهي وظائف-كما نرى-معظمها ينضوي تحت ظلّ الوظائف الخمس التي ذكرها جينت.

بعد هذه الإطلالة على وظائف السرد نعود إلى الرسائل التي كتبها الوزير الصّاحب بن عبّاد، فقد قلنا سابقاً: إنّ الصّاحب اعتلى مكانة مرموقة عند أمراء بني بويه "334هـ"، وهؤلاء الأمراء جرّدوا الخليفة في بغداد من كل سلطة (يُنظر: المسعودي، 1968، ص334). وتفردوا بتدبير أمور الدولة، واستمرّ الحال حتى منتصف القرن الخامس الهجري (يُنظر: أمين، أحمد، 2013، 1 / 265). وكان للوزير الصّاحب دور في المناقحة عن البويهيين، والدفاع عنهم بالسيف وبالقلم، فكانت رسائله العشر في البشائر والفتوح تحمل في طياتها انتصاراً لحقوقهم المزعومة في الرّئاسة على سائر الأمراء الذين كانوا يطمحون إلى مدّ نفوذهم على سائر البلاد الإسلامية. وقد ضمّن تلك الرسائل الأحداث التاريخية والمعارك التي جرت بين بعضهم البعض، فكان السرد إحدى تقنيات الكتابة التي لجأ إليها لنقل الوقائع إلى المتلقّي.

وقد كان الصَّاحِب يُصدِّر رسائله-كغيره من الكُتَّاب-بذكر صاحب نعمته، وهذا التصدير ظهر مقرّونا بذكر المكان الذي استقرَّ به الكاتب بعد أن وضعت الحرب أوزارها، وظهر الغالب والمغلوب. وهكذا أصبحت الظروف مُهيأةً للكاتب كي يستعيد الأحداث من بدايتها، ويسرد لنا ما جرى من مناقشات كلامية وصراع عسكري. وهذا ما نلاحظه في الرِّسالة التي كتبها في أعقاب الانتصار على قابوس بن وشمكير أمير طبرستان وجرجان. يقول في مقدمة رسالته: "كنا بنا-أدامَ اللهُ عزَّك-من المُعسكرِ بظاهرِ إسترأباد، وقد أنزلَ اللهُ علينا النصرَ، وسهَّلَ لنا بعلوَّ جدِّ مولانا الملك السيد العلوِّ والقهرَ، والحمد لله ربَّ العالمين، وصلواته على النبيِّ مُحَمَّدٍ وآله وصحبه أجمعين"(ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص3). فهو يبادر لنقل هذا الخبر السعيد للمُتلقي الذي ينتظر أخبار المعركة التي جرت بين جيش الأمير عضد الدولة، والأمير قابوس بن وشمكير. وقد حرص على ذكر الملك السيِّد-كما وصفه-حتَّى لا ينسى المُتلقي أنَّ هذا النصر تمَّ على يديِّ صاحب نعمته. وقد جذب انتباه المُتلقي إليه حين خاطبه في بداية الرِّسالة، وذكر المكان الذي استقرَّ فيه بعد أن انتهت الحرب، وهي مدينة إسترأباد في شمال بلاد فارس. وبذلك جعل للسرد وظيفة، وهي وظيفة انتباهية تجذب المُتلقي المُتلهِّف لمعرفة أخبار المعركة. ومادام قد استرعى اهتمام المُتلقي فلا بأس أن يستطرد بذكر القيم الإيجابية التي يتمتَّع بها عضد الدولة، ولي نعمته. فهذا النصر المؤزَّر لم يكن ليتحقَّق إلا بفضل حكمته ونظرته الثاقبة للأمور. يقول: "وأحسنُ نِعَمِ اللهُ غُرراً وأوضاحاً، وأولاهاً إذا تُصَفَّحت المواهب أخذاً بحظِّ السابق، وأولاهاً إذا تُتَبَّعت المنايح فوزاً بالعرزِّ الشاهق، وأحراها بأن تُثنى عليها ألسنة الأيام والليالي، وتُثنى عليها أعناق المحامد والمعالي، نعمةٌ صادفت حمداً وشكراً، وجمعت فتحةً ونصراً، ونظمت نُججا وقهراً، واستدلَّت مُمتطيّاً للجحود لاهياً عن غوره، مُستشريحاً في الغموط عادياً لطورهِ، وتلك النعمةُ عند مولانا السيد، إذ عضدَّ الدولة، وتوجَّ الملة، وحرس الأمة، وزحزح الغمة، ورفد الخلافة، وبسط العدل والرأفة، وطهر البلاد، وعمر الحجَّ والجهاد، وساس الجمهور، وسدَّ الثغور. فشهدت فتوحه بأنه مؤيَّد من عند الله، ومحوط المُلك بيد الله، لا يَنازِعُ رأيه منازِعٌ إلا تُلَّ لجبينه، وُعوجلَ بقطع وتبينه. ولا يمانع رأيه مُمانع إلا غلَّت يده دون مَطلبه، وأقْطع أمدُه عن مهربه. ولم يَعْزَّزْ بالتحصن عليه مارقٌ، والتمنُّع عليه مارقٌ، والتمنُّع دونهُ مشاقٌّ مفارقٌ، إلا استولى عفواً على غايات احتياله وأقاصيه، ومكَّن منه القضاء سمحاً فاستنزل عن معاقله وصياصيه"(ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص3). ولا يخفى على القارئ الرِّسالة المُبطَّنة التي يريد أن يوصلها الصَّاحِب للمُتلقي بعد أن استرعى انتباهه في البداية، فهذا الإسهاب في تعداد صفات عضد الدولة، وما تبعه من تحذير بحق من يعاديه ما هو

إلا وعيد للمتلقي كي لا يتجرأ على معاداته وشقّ عصا الطاعة بعيداً عن حياضه. ولعلّ انتصاره في هذه المعركة دليل على خسران من يناصره العدا، أو يتحالف مع من يعاينه، أو يناصره، أو يتعاطف معه. وبذلك جعل للسرد وظيفة إبلاغية، بعد تلك الوظيفة الانتباهية الذي عمد إليها سابقاً، فقد استفاد الصّاحب من هذا السرد في إرسال رسالة إلى المتلقي وتحذيره من معاداة عضد الدولة.

وبعد أن حقّق الصّاحب غايته في تحذير المتلقي من معاداة عضد الدولة، يلتفت إلى سرد وقائع الأحداث كدليل واضح على صحة كلامه، فيقول: "وعيان ذلك لمُشاهده، قبل إقامة شواهد، حادث ما أجرنا الله عليه في ظلّه، وباعتلاق حبله، في أمر الغامط قابوس بن وشمكير، إذ مضى أخوه، وكان للطاعة عبداً، ومع أيدي أوليائها يداً" (ابن عبّاد، الصّاحب، دبت، ص 4). وهنا يفتح السرد بذكر اسم الزمان "إذ" مع الفعل الماضي، ويهيئ المتلقي لاستقبال الخبر، وهو انتقال بالزمان من الحاضر، زمن كتابة الرسالة، إلى الزمان الماضي قبل أن تنتهي الحرب ويظهر المنتصر. وقد عاد بالزمن إلى الفترة التي كان فيها قابوس مغموراً. يقول: "يكاد ضُمر القدر يُخفي شخصه، وغموض الذكر يتولى غمّضه، واستجار بنا وهو في قران دُهل، وضمان خُمول، فظناه إذا اضطنعا لمولانا الملك السيد ولنا-مُنْتَضِينَ له من غمض الامتهان والابتذال، ومُستلّين من عادية الامتحان والاختلال-واستخلفناه على بلاد جرجان وطبرستان يشكرُ النعمة ويرتهنها، ويُدمن الخدمة ويُحسّنها، فرفعنا حسيسته، وجبرنا نقيسته، وجمعنا له بين التمكين من هذه الأعمال والبقاع، والإيثار بما فيها من المعاقل والقلاع. فحين رأته عينا، مالم يبلغه مناه، واتسعت نعمته، بحيث لم تنله همته..... نفخ الشيطان في سحره ومناخره، وضرب بالأسداد بين أوائل أمره وأواخره" (ابن عبّاد، الصّاحب، دبت، ص 4). ونلاحظ أنّ الصّاحب ينتقل بين ثلاثة أزمان؛ الزمن الحاضر، وهو زمن كتابة الرسالة، وقد لاحظنا ذلك في المقدمة، والزمن الماضي الذي كان فيه قابوس مغموراً، فاضطنعه الصّاحب وقدمه للأمير، فأضحى سيّداً، والزمن الذي تلاه قبل المعركة، وفيه شقّ عصا الطاعة وانبرى معادياً لعضد الدولة. وقد انتقل الصّاحب بين هذه الأزمان ليظهر للمتلقي المراحل التي مرّت بها العلاقة بين الطرفين؛ من خلال التنسيق بينها لتؤدي هذه الوظيفة، أو كما أسماها جينت إدارة الخطاب، حيث يقوم السارد بالانتقال بين الأزمان، وتنسيق الخطاب بما يتوافق والرسالة التي يريد إيصالها للمتلقي.

ويستمرُّ الصَّاحِبُ بسرد الأحداث في الزمن الماضي، قبل المعركة، ويكشف عن قيمة أخلاقية في عضد الدولة، وهي الحلم، فعلى الرغم من تجرؤ قابوس في غيِّه فقد صبر عليه عسى أن يعود إلى رشده. يقول: "ومولانا الملكُ السَّيِّدُ في كلِّ ذلك يُؤَلِّيه صَفْحُهُ، ويُؤَلِّيه العَفْو من عفوه، فيتجاوز عنه جَلْمًا، ولا يتجاوز به التنبيه كَطْمًا، ونسلك فيه هذا المذهب ونعتمده، ونَحْدَرُه في أثناء الإغضاء ونُرَشِّده، رجاءً أن يُنْزِعَ أو يُنْزِعَ، أو يُقْلِعَ أو يَرْتَدِّعَ، إلى أن عادَ بُدُوُّ شرِّه فادحًا" (ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص4). ونشهد ارتفاع صوت الصَّاحِب/ السَّارِد عندما كشف عن مشاعره المتضامنة مع عضد الدولة، موظفًا السَّرِد ليزيح اللثام عن أفكاره ومشاعره في التعامل مع الأمير قابوس بن وشمكير.

إنَّ الصَّاحِبَ يَعِي تمامًا أنه لا يمكن أن يكسب ودَّ المتلقي من دون تبرير موقف عضد الدولة في حربه مع قابوس، فهو يريد أن يصرف نظره عن الأسباب الحقيقية الكامنة في رغبة عضد الدولة في الاستئثار بالحكم بعد خلافه مع أخيه فخر الدولة. وقد جعل من قابوس مسؤولاً عن تصدع العلاقة بين الأخوين، فالأخير مال إلى فخر الدولة وأغراه بالخروج على أخيه، وحماه في دياره. يقول: "وما غادر مع ذلك من المروق مناطًا إلا بلغه ولجج، ولا بابًا من الفسوق إلا قرعه وولج، إلى أن صار السبب في استئلال فلان، فدلاه بغروره، واستهواه إلى تُبورِه، كأن لا رِقْبَةَ عليه ولا مُحاسِبَةَ، ولا عصمةً بينه وبين الطاعة ولا مناسبة" (ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص5). لكنَّ ذلك التحالف لم ينفع الطرفين، فالخير الذي يمثله عضد الدولة لا بدَّ أن ينتصر على الشرِّ الذي يمثله قابوس وفخر الدولة، ولهذا "تصدَّع شَمْلُ المُقيم على العُقوق، والمُدِيم للمُروق، تصدَّعا نتجتَه الخيفةُ والمهابةُ، لا الرُّجعي والإنابة" (ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص5). وقد وصل جيش عضد الدولة إلى باب إسترباذ المواجه لطبرستان، "فبردت أرواح الضَّلال، وعلموا أن سَعِيهم في وبالٍ وخبالٍ" (ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص5). وهكذا تخلَّص الناس من جور ذلك الظالم "فقد كان أهلها من عَسْف المارق وخَبُطه، فيما ضاعفه عند نُهوضنا لمحاصرته وضغطه، فأرخى من عناق تلك الرعية، وأستخلصت من أنياب العسف ومخالب الأذية" (ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص5). وبعد هذا الانتصار المؤزَّر تمَّ العفو عن الأسرى ممَّن شاركوا في القتال، تنفيذًا لأحكام الشرع في الحروب، وحقنًا لدماء المسلمين (يُنظر: ابن عباد، الصَّاحِب، دت، ص8).

وختم الصَّاحِب رسالته بعد أن صرَّح بالغاية التي من أجلها أنشأها. يقول: "طالعناك- أدام الله عزك بهذا الفتح الزاهر، والنُّجح الباهر، لتوقَّر حظُّك من الأُنس له، والشُّكر عليه،

وتتطرق أعواد المنابر والسنة المحاضر به، فرأيك-أدام الله عزك-في إعلامنا موقّع هذه البشري لديك، وما تورده من السرور عليك، وذكر ما نتوقعه من خبرك موقفاً، إن شاء الله" (ابن عباد، الصاحب، دت، ص8). فالغاية من رسالته، نشر البهجة والسرور بأخبار الانتصارات الباهرة التي لم تكن تتحقق إلا بحمد الله -عز وجل- أولاً، وحكمة الأمير ثانياً.

لقد كان السرد أداة لنقل أخبار المعارك إلى المتلقي، إضافة إلى الوظائف الأخرى التي قام بها؛ ومنها الوظيفة الانتباهية التي ركزت على جذب المتلقي، والوظيفة الإبلغية التي تضمنت الدعوة إلى طاعة الأمير، والوظيفة التنسيقية التي عملت على ترتيب الزمان في الرسالة. ويمكن أن نضيف الوظيفة الشعرية كوظيفة لازمة للرسالة، أو كما قال عبدالسلام المسدي عنها هي "إكتمالية تترصد النص من منظار لغوي" (المسدي، عبدالسلام، 1994، ص115). فالصاحب اتكأ على هذه الوظيفة في التواصل مع المتلقي، من خلال التشكيل اللغوي الجمالي للرسالة، إذ نجده يضمن السرد صوراً فنية أوجزت كثيراً من الأحداث. فقد عبّر عن شدة الحرب أهوالها، فقال: "شمرت الحرب عن ساقها، وتتمرت بجمرة أحداقها، ودارت كأس الموت دهاقا، وعاد لقاء القرن للقرن عناقاً" (ابن عباد، الصاحب، دت، ص7). وعبّر عن المصير المحتوم بقوله: "الحتف يتاح دفعة فلا يبقى ولا يذر، والحين يساق ضربة فلا يؤخر ولا ينظر" (ابن عباد، الصاحب، دت، ص7). وعبّر عن فشل عدوه وخسرانه بقوله: "لم يكتسب بطلب الفرصة، إلا تجرع الغصة، ولا من تتبع الغرة، إلا تدرع الحرة" (ابن عباد، الصاحب، دت، ص7). وغيرها من الصور الفنية التي أعطت السرد جمالية وحيوية، وفتحت الخيال أمام المتلقي ليخلق محاكياً أحداث المعارك كما وصفها الكاتب.

### خامساً-السرد والوصف:

يتشكل البناء السردى من ثلاثة عناصر هي: الراوي، والمروي، والمروي له. والراوي هو العنصر الرئيس في تشكيل النص المروي، إذ إنه يتحكم في بناء الأحداث، واختيار الطريقة المناسبة لتقديم الحكاية للمروي له. أما المروي فيتخذ شكل المواقف والأحداث في فضاء زمني ومكاني يتخيره الراوي، ويتواصل به مع المروي له الذي يتلقى النص ويتفاعل معه (بيرنس، جيرالد، 2003، ص119 - 120).

ولكي يتم الراوي مهمته في تقديم النص للمتلقى ينبغي أن يستعين بالوصف الذي يرافق السرد في الكشف عن الأحداث والشخصيات والزمان والمكان. ويُعرف الوصف بأنه "نظام

أو نسق من الرموز والقواعد يُستعمل لتمثيل العبارات وتصوير الشخصيات، أي جميع العمليات التي يقوم بها المؤلف لتأسيس رؤيته الفنية" (بورونوف، رولان، وأوثيلية، ريال، 1991، ص157). أمّا عن العلاقة التي تربطه بالسرد فتتمثل في ظهورهما "بوساطة مقطع من الكلمات (التتابع الزمني للخطاب)، لكنّ موضوعهما يختلف، فالسرد يعيد التتابع الزمني للحوادث، بينما الوصف يمثل موضوعات متزامنة ومتجاورة في المكان، ويُستخدم الوصف عادة لإبداع إيقاع السرد فهو إمّا يُثير استرخاءً وانجذاباً من النفس إلى الموصوف أو يثير توترًا وتنافرًا منه، وفي بعض الأحيان يكون بمثابة افتتاحية للنصّ الروائي" (بورونوف، رولان، وأوثيلية، ريال، 1991، ص107). وفي اجتماعهما يتكامل النصّ، فالسرد الذي يمنح النصّ حيوية يجتمع مع الوصف الذي يقدم وقفة تأملية للأحداث. وتبقى قدرة الراوي على توظيف الوصف في مكانه الصحيح، وبالمقدار الذي يراه مناسبًا بعيداً عن الإطالة غير المرغوب بها.

وقد جاء السرد عند الصّاحب مقترنًا بالوصف في رسالته، وقد راوح بين السرد والوصف في تناوب مرتب. فبعد أن ذكر المكان الذي استقرّ فيه بعد ألقى الحرب أوزارها لجأ إلى وصف شخصية الأمير عضدالدولة، وما يتمتّع به من قيم أهله لاعتلاء سلّم السلطنة، ثمّ انتقل إلى وصف شخصية الأمير قابوس بن وشمكير الذي يمثّل هنا الشخصية السلبية. وقد قدّم دليلًا على كلامه ما جرى من أحداث بين الطرفين، فبعد أن وصف الشخصية الأولى قال: "وعيان ذلك لمشاهده، حادث ما أجرنا الله عليه في ظلّه، وباعتلاق حبله، في أمر الغامط قابوس بن وشمكير" (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص3 - 4). أمّا الشخصية الثانية فسأط الضوء على خيانتها للعهد، ثمّ سرد ما كان من أمرها مع شخصية عضدالدولة، فقال: "فظنناهُ إذا اصطنعناهُ لمولانا الملك السيد ولنا مُنتضين له من غمِ الامتهان والابتدال، ومُستلّين من عادية الامتحان والاختلال واستخلفناه على جرجان وطبرستان..." (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص4). ثمّ أكمل سرد الأحداث إلى نهايتها.

ونلاحظ أنّ الصّاحب لم يتطرق إلى وصف الشخصيتين وصفًا جسديًا بل كان يسلط الضوء على الناحية الأخلاقية في شخصيتهما؛ وذلك لأنّ هدف الكاتب التأثير في المتلقي، واستمالاته إلى طرف الأمير عضدالدولة، وتسويغ موقفه من الأمير قابوس، ولاسيما أنّه يعلم أنّ الصراع ليس صراعًا بين الحقّ والباطل، بل هو صراع على السلطة وتقاسم النفوذ، فعضدالدولة هو نفسه استولى على السلطة، وقام مقام الخليفة في السيادة، ولم يترك له سوى اسمها.

فغاية الوصف عند الصّاحب تتمثل في رفع شأن الأمير عضدالدولة، وسيادته على غيره من الأمراء، وهذه السيادة تنبع من تمتّعه بالفضائل الأخلاقية التي أهلته للرئاسة على غيره من الأمراء، وكلّ من يعاينه فإنّه يعادي الحقّ، ويصبح منبوذاً ينبغي محاربتة حتّى يعود إلى الطاعة والاستسلام.

ولكن هذا لا يعني أنّ الصّاحب اقتصر على هذه الوظيفة فحسب بل جعل من الوصف وسيلة لإضفاء لمسة زخرفية للرسالة، وخصوصاً حين يلجأ إلى التهويل في وصف الجيش أو المعارك. فنراه يصف جيش عضد الدولة فيقول: "ووافانا من حضرة مولانا أبو حرب زيار بن شهرا كويه مولى أمير المؤمنين-أدام الله عزّه-وعينه فراره، واختاره حيث اختياره، قد نجدته الحروب، وخفت عليه الخُطوب، زعيماً على من ضامه من خيل، كقطع الليل، ورجال خُلقوا لقطع الأجال.." (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص 5 - 6). ويصف الحرب فيقول: "وشمرت الحرب عن ساقها، وتتمرت بحمرة أذواقها، ودارت كأس الموت دهاقاً، وعاد لقاء القرن للقرن عناقاً، فكسرنا المدايير بالديلم زرقاً، وبالغلمان رشقاً.." (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص 7).

وهذا الوصف جاء في سياق السرد، إذ كان الصّاحب يلجأ إلى هذه التقنية أثناء سرده لأحداث المعارك، فيعبّر بذلك عن قوة جيش عضدالدولة، فينقل للمتلقي شدة المعارك التي خاضها والتي أثمرت في النهاية عن نصرٍ عظيمٍ استحقّه.

#### سادساً- الأشكال السردية:

التزم الكُتاب في العصر العباسي، ولاسيما كُتاب الرسائل الرسمية، بعناصر الرّسالة، ونادراً ما نجد كاتباً غرّداً بعيداً عن السّرب، فابتدع لنفسه منهجاً مختلفاً عن الكُتاب الآخرين. فقد أضحت هذه العناصر إلزامية لكلّ كاتب احترّف صنعة الإنشاء، وكتب بين يديّ الخليفة أو الوزير أو الأمير، فكان لسانه الذي يُخاطب به في المناسبات الرسمية، وسيفه الذي يزود عنه في الحرب والسلم.

وقد التزم الصّاحب في رسائله الرسمية بهذه العناصر، لكنّه تميّز من باقي الكُتاب باستخدامه ضمير المتكلم، فهو لا يعدّ نفسه كاتباً يكتب في ديوان الأمير عضد الدولة، بل هو كاتب يدافع عن سلطة هو جزء منها، ووزير له شأنه عند بني بويه. ومادام الأمر كذلك فإنّ صيغة الخطاب في رسائله تختلف عن صيغة الخطاب التي كتبها غيره في الرسائل الرسمية، إذ يغلب على رسائله

الخطاب بضمير جمع المتكلم، وذلك إشارة إلى انتمائه إلى السلطة التي يعتلي هرماها عضد الدولة. وهو يبدأ رسالته بقوله: "كتائبنا" إشارة إلى أنه جزء من منظومة السلطة، ثم نراه يستخدم ضمير الغائب في سرد الأحداث، فيذكر تفاصيل الأحداث بين الأمير من جهة، وقابوس بن وشمكير، من جهة أخرى، مع اختلاف طريقة السرد، ففي حين يكثر المدح والتهليل للأول، يكتفي بضمير الغائب المجرد مع الثاني. وتمتلئ صفحات الرسالة بالأفعال السردية المقترنة بالضمير "نا"؛ كقوله: "اصطنعناه، استخلفناه، نقلناه..". للدلالة على دور الأمير عضد الدولة والوزير الصاحب في وصول قابوس بن وشمكير إلى السلطة، وقد وظف أفعالاً أخرى تظهر مكانته في السلطة، كقوله: "راسلنا، بسطنا، أمضينا..". وبالمقابل نجد الأفعال التي تظهر قابوس بن وشمكير بمظهر الظالم المنبوذ الذي لانصر له. كقوله: "استبد، تلقب، استولى، غادر، بلغ، ولج، استهوى...".

ولكن هذا لا يعني أن الصاحب اقتصر على صيغة جمع المتكلم، فقد استخدم صيغة الغائب مع عضد الدولة مع الإكثار من ذكر اسمه وصفاته، بينما ذكر اسم الأمير قابوس مرة واحدة، واستخدم الضمير أو الصفة للإشارة إليه في المواضع الأخرى؛ وذلك للتقليل من شأنه. وفي لجوئه إلى الضمير الغائب يوهم المتلقي بالحيادية في نقل الأحداث، ويبت في أثناء ذلك ما يوجه المتلقي إلى الطريق التي يريدها؛ لأن هذا الضمير "وسيلة صالحة لأن يتوارى وراءها السارد فيمّر ما يشاء من أفكار، وإيديولوجيات، وتعليمات، وتوجيهات، وآراء؛ دون أن يبدو تدخله صارخاً ومباشراً" (مرتاض، عبد الملك، 1998، ص 153). وفي اختياره لهذا الضمير حماية له "من إثم الكذب بجعله مجرد حاكٍ يحكي، لا مؤلف يُولف، أو مبدع يُبدع، ولقد يتوَلد عن هذا الاعتبار انفصال النص عن ناصه؛ وذلك بحكم أنه مجرد وسيط أدبي ينقل للقارئ ما سمعه أو علمه أو سوائه" (مرتاض، عبد الملك، 1998، ص 154).

لكن الصاحب في نهاية الرسالة يُفاجئنا بانتقاله من ضمير الغائب إلى ضمير المخاطب، وكأنه تخلى عن وظيفته في نقل الأحداث وانتقل إلى وظيفة أخرى تتجلى في توجيه المتلقي وإرشاده إلى ما يجب أن يقوم به بعد أن بشره بهذا النصر المؤزر. فهو يخاطبه قائلاً: "طالعناك -أدام الله عزك- بهذا الفتح الزاهر، والنجح الباهر، لتوقّر حظك من الأنس له، والشكر عليه، وتُنطق أعواد المنابر وألسنة المحاضر به، فرأيك-أدام الله عزك- في إعلامنا موقع هذه البشري لديك، وما تورده من السرور عليك، وذكر ما نتوقعه من خبرك موقفاً إن شاء الله" (ابن عبّاد، الصاحب، دت، ص 9). وكان ضمير الجمع (نحن) لا بد أن يفرض حضوره في الرسالة مهما حاول الصاحب أن يكبح جماحه في السرد، فهو لا يستطيع أن يتخلى عن دوره كوزير له شأنه في الحكم البويهية، والحيادية التي أوهم بها المتلقي في البداية تتلاشى في نهاية الرسالة لتظهر

وظيفة الكاتب في إعلاء كعب الأمير بين منافسيه. وتزداد حدة التوجيه في توظيف أسلوب الأمر، وخصوصاً حين طلب من المتلقي أن ينشر هذه الخبر السار بين الملأ، لتعمّ الفرحة في أرجاء الدولة ابتهاجاً بهذا الحدث العظيم.

إنّ استخدام ضمير المخاطب تدخل مباشر من الصّاحب في وعي المتلقي، وفيه مجانبية للحيادية في السرد، وتوظيف لهذه الأداة في غاية سياسية تتجلى في إثبات حقّ بني بويه في السيادة والرئاسة. وهذا يشمل أيضاً السرد بضمير الغائب، فبالرغم من أنّه اعتمد عليه اعتماداً رئيساً في سرد الأحداث فقد جعل من عضد الدولة الغائب حاضرًا في كلّ الأحداث، من خلال توليه زمام الأمور، وامتلاكه ناصية المبادرة التي أودت في النهاية إلى النصر.

### سابعاً- الزمان والمكان:

لا يمكن للسرد أن يحقق هدفه إلا بوجود الحيز المكانيّ والحيز الزمانيّ، فهما عنصران مُكمّلان للسرد، إذ من العبث أن نتصور سرداً من دون زمانٍ يحتويه أو مكانٍ يكتنفه. فالزمن هو صيرورة الأحداث وفق منظومة لغوية متتابعة للتعبير عن واقع الحياة، ويمثل المكان مكوناً محورياً في بنية السرد بحيث لا يمكن تصوّر الحكاية من دون مكان، فلا وجود للأحداث خارج المكان، ذلك أنّ كلّ حدث يأخذ وجوده في مكانٍ محدّد وزمانٍ معينٍ (بوعزة، محمد، 2010، ص99).

ويميز تودوروف بين ثلاثة أزمنة: زمن القصة، وزمن السرد، وزمن القراءة. أما الزمن الأول فهو الزمن الخاص بالعالم التخيليّ، وأما الزمن الثاني فهو زمن كتابة السرد، وأما الزمن الثالث فهو زمن قراءة السرد (يقطين، سعيد، 2006، ص42). وترتبط هذه الأزمان بعلاقة وثيقة بالمكان؛ إذ إن الشخصيات تتحرك في حيزٍ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمان الذي يحدّد ملامحها وكلّ ما يتصل بوسطها الطبيعيّ، وبأخلاق الشخصيات وشمائلهم، وأساليبهم في الحياة (عاشور، عمر، 2010، ص30).

والصّاحب جعل من الزمان والمكان عنصرين مُهمّين في السرد، فقد بادر إلى ذكر المكان في مقدمة رسالته. فقال: "كتابنا-أدام الله عزك-من المُعسكرِ بظاهر إستراباذ، وقد أنزل الله علينا النصر، وسهّل لنا بعلوً جدّ مولانا الملك السيد العلوّ والقهر، والحمد لله ربّ العالمين، وصلواته على النبيّ محمدٍ وآله وصحبه أجمعين" (ابن عبّاد، الصّاحب، دبت، ص3). وذكر المكان في هذه البداية جاء مقترناً بالزمن الماضي بعد أن ظهر المُنتصر، وقفل الجيش عائداً إلى دياره.

وهو زمن ما بعد الحدث الرئيس، وقد تفرغ الصّاحب لتجميع أحداث المعركة، وصياغة تفاصيلها، ونقلها إلى المتلقي. والإفصاح عن المكان في بداية السرد يشوّق المتلقي لمعرفة تفاصيل الأحداث، إذ إن وصولهم إلى هذا المكان يثير تساؤلات كثيرة، وخصوصاً أنه بشرّ المتلقي بالنصر المؤزّر. لكن قبل أن يباشر الصّاحب بنقل الأحداث ينتهز الفرصة لتعداد خصال الأمير عضدالدولة، فقد كان كريماً ووفياً في علاقته مع قابوس بن وشمكير، فقد رفعه بعد أن كان مغموراً. وفي ذلك عودة إلى الزمن الماضي قبل أن تسوء العلاقة بينهما، أو بالأحرى قبل أن يشقّ الأخير عصا الطاعة. ثم ينتقل الصّاحب إلى الزمن الماضي اللّاحق، حيث تأزمت العلاقة بينهما وتطوّرت إلى مرحلة الحرب.

وبذلك تنقل السرد بين أربعة أزمان؛ زمن السرد في إستراباذ (زمن كتابة الرّسالة)، وزمن الصفاء في العلاقة بين الأميرين، وزمن العداوة بينهما، وزمن الحرب. وهذا الانتقال بالزمن صاحبه انتقال في المكان، ففي الزمن الأول حدّد المكان بإستراباذ، وفي الزمنين؛ الثاني والثالث جعل المكان متخيلاً في قصر الأمير عضدالدولة (بغداد)، وفي إمارة قابوس بن وشمكير (جرجان وطبرستان)، والزمن الثالث كان في أرض المعارك (خراسان).

وعلى الرّغم من أنّ الصّاحب لا يُسهب في وصف الزمان والمكان، فإننا مع ذلك نلاحظ تأثيرهما في السرد، ففي إستراباذ نجد الصّاحب يعبر عن الطمأنينة والارتياح بعد انتهاء المعارك، وهو الزمن الذي تفرّغ فيه لتذكّر تفاصيل الأحداث وإعادة ترتيبها؛ كي يرويها للمتلقي. ولهذا نجده يُسهب بالحديث عن الأمير ومنجزاته، فالمكان والزمان يسمحان له أن يستثير قريحته، ويدبج الكلام كيفما يشاء، ولاسيما أن زهوة النصر تتملكه وتدفعه إلى الكتابة. وحين انتقل للحديث عن أيام الصفاء في الماضي جعلنا نتخيّل العلاقة التي كانت تجمع الأميرين سواء في بغداد أو في جرجان وطبرستان (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص4). لكن هذا المكان الذي شهد أيام الصفاء تحول إلى مرتع للخوف والموت بعد أن أرسل عضد الدولة جيشه العمرم بقيادة أحد قواده. يقول: "فأخرج فلاناً إلى جبلٍ شهريار، وبه أخونا أبو الحسن عليّ بن كامة، مولى أمير المؤمنين-أدام الله عزّه-من لا يصطلي المخالفون بنا، حتّى يحرقهم بشراره، وقد نسخّ الجبل قرناً بعد قرن، وأوسع أركانهم وهناً بعد وهنٍ، فردّوا ناكسين على الأعقاب، مُتَمَصِّين لِبَاسِ الخُسر والتَّباب" (ابن عبّاد، الصّاحب، دت، ص5). وهكذا تحوّل المكان الآمن إلى مكان للموت والخراب بعد أن تقابل فيها الضدان، واشتعل لهيب الحرب، فأضحى جحيماً يصطلي الجميع بنا. لكن سرعان ما تبدل الحال، وعاد السلام إلى ربوع الإمارة، فبسط فيها الخير والإحسان، ونعم الجميع

بالأمن والأمان.

إنّ هذا الانتقال في الزمان والمكان يُثير خيال المتلقي، ويجعله يتفاعل مع الأحداث التي يرويها الصّاحب، وخصوصاً مع استخدامه للسرد اللاحق، وعودته بالزمان إلى البداية، ثم انتقاله بالزمان إلى ما قبل تأزم الحدث. وكلُّ ذلك صاحبه انتقال بالمكان، فكان المكان مع الزمان يشكّلان فضاءً رحباً لخيال المتلقي.

### ثامناً- الخاتمة:

لقد أضفى السرد حيوية على رسائل الصّاحب الحربية، وخصوصاً حين جعل الكاتب للسرد وظائف تتناسب مع أيديولوجيته السياسية. وكان السرد مع الوصف يشكّلان عنصرين فعّالين للتأثير في وعي المتلقي، وفي بثّ الأفكار التي تمجّد سلطة عضد الدولة، وتحذّر المخالفين من شقّ عصا الطاعة. أضف إلى ذلك تنقله في الزمان والمكان بحسب مقتضى السرد، فالسلام يعمُّ في المكان حين يلتزم الناس بالطاعة، ويتحول إلى خراب حين يرفضون الانصياع والخضوع. وهذا ما حاول الصّاحب التركيز عليه حين تناول العلاقة بين عضد الدولة وقابوس بن وشمكير، قبل الحرب وبعدها.

وقد حاول الصّاحب أن يوهم المتلقي بالحيادية في نقل أحداث المواجهات والمعارك، من خلال توظيفه للضمير الغائب، ولكن هذا الأمر لم يكن ليكبح جماح الـ(نحن) التي كانت تظهر باستمرار في السرد بحيث طغت عليه. أضف إلى ذلك خطابه المباشر للمتلقي في خاتمة الرسالة، وقد أوصاه بنشر هذا الانتصار العظيم بين الناس. كلُّ ذلك يشير إلى أنّ السرد لم يكن بريئاً من الميل والهوى، بل كان من أجل إعلاء كعب السلطة التي يستظلُّ بها؛ سواء بالترغيب أو بالترهيب.

## قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم، عبدالله (2005). موسوعة السرد العربي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- ابن الأثير، الجزري (2009).. الكامل في التاريخ. دار الفكر.
- إسماعيل، عزالدين (2013). الأدب وفنونه (ط 6). دار الفكر العربي.
- أمين، أحمد (2013). ظهر الإسلام. مؤسسة هنداوي.
- بورنوف، رولان وأوثيليه، ربال (1991) عالم الرواية (ترجمة نهاد التكري ومحسن الموسوي). دار الشؤون الثقافية العامة.
- بوعزة، محمد. (2010). تحليل النص السردى، منشورات الاختلاف.
- بيرنس، جيرالد (2003). قاموس السرديات (ترجمة السيد إمام). ميراث للنشر.
- التوحيدى، أبو حيان (1961). مثالب الوزيرين (تحقيق إبراهيم الكيلاني). دار الفكر.
- تودوروف، ترفتيان (1990). الشعرية (ط 2) (ترجمة شكري ميخوت ورجاء سلامة). دار توبقال للنشر.
- جينت، جبرار (1997). خطاب الحكاية (ط 2) (ترجمة محمد معتصر وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي). المشروع القومي للترجمة، مصر.
- الحموي، ياقوت. (د.ت). معجم الأدباء. مكتبة عيسى البابي الحلبي.
- الشكعة، مصطفى (1993). الأدب في موكب الحضارة الإسلامية (كُتَاب النثر). الدار المصرية اللبنانية.
- ضيف الله، سيد إسماعيل (2008). آليات السرد بين الشفاهية والكتابية. الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- ابن عباد، الصّاحب (د.ت). رسائل الصّاحب بن عباد (تحقيق عبدالوهاب عزام وشوقي ضيف). دار الفكر العربي.
- عاشور، عمر. (2010). البنية السردية عند الطيب صالح. دار هومة للطباعة والنشر.
- عبدالله، محمد (2011). أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي. رابطة الكتاب الأردنيين مطبعة السفير.
- ابن فارس، أحمد. (د.ت). معجم مقاييس اللغة (تحقيق عبدالسلام هارون). دار الفكر.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (1998). كتاب العين (تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي). دائرة الشؤون الثقافية والنشر.
- الفروز آبادي (2005). القاموس المحيط (تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة). مؤسسة الرسالة.
- مرتاض، عبدالملك (1993). ألف ليلة وليلة (دراسة سيميائية لحكاية حمّال بغداد). المطبوعات الجامعية.
- مرتاض، عبدالملك (1998). في نظرية الرواية. عالم المعرفة، 240. الكويت.
- المرزوقي، سمير، وشاكر، جميل (1986). مدخل إلى نظرية القصة. الدار التونسية.
- المسدي، عبدالسلام. (1994). المصطلح النقدي. مؤسسات عبدالكريم عبدالله للنشر والتوزيع.
- المسعودي (1968). التنبيه والإشراف. دار التراث.
- ابن منظور (2000). لسان العرب. دار صادر.
- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل (1984). معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب (ط 2). مكتبة لبنان.
- يقطين، سعيد (2006). إنتاج النص الروائي (ط 3). المركز الثقافي العربي.

**Romanized Arabic References:**

**الترجمة الصوتية لمصادر ومراجع اللغة العربية:**

- 'ibrāhym , 'abdāllaha 2005). mawsū'ata al-ssardi al'arabiyyiālmū'uassasatu al'arabiyyatu lil-ddirāsāti wa-al-nnashri  
ibna al'athīri aljazarīya 2009). alkāmīla fī al-ttārikhidāru alfikri
- 'ismā'yl , 'izzālddīna 2013). al'adaba wafunūnahu ṭ 6). dāra alfikri al'arabiyyi
- 'amynun , 'aḥamīda 2013). zaḥara al'islāmumu'uassasatu hindāwiyyin
- bwrnwf , rūlāna w'aw'ilyh rīāla 1991). ālama al-rriwāyati tarjamata nuḥādu al-tkrly wmḥsn almūsawīyyadāra al-  
sshu'ūni al-tthaqāfiyyati al'āmmati
- bw'zh , muḥammadun 2010). taḥlīla al-nnaṣṣi al-ssardiyyi manshūrāti alikhtilāafi
- byrns , jyrāld 2003). qāmūsa al-ssardiāti tarjamata al-ssayyidi 'imāmamyryth lil-nnashri
- al-ttawhīdiyyu , 'abū ḥayyāni 1961). mathāliba alwazīrayni taḥqīqa 'ibrāhym alkalyāniyyadāra alfikri
- twdwrwf , tztzyān 1990). al-sshi'riyyata ( ṭ 2)( tarjamata shukriyya mabkhūtin warajā'i salāama#idāra twbqāl lil-  
nnashri
- jynt , jyrār 1997). khitāba alḥikāyati ṭ 2)( tarjamata muḥammada mu'taṣīma wa'abda aljalīli al'azdiyyi wa'umara  
ḥallīālmashrū'a alqawmiyya lil-ttarjamati miṣrun
- ulḥumuī , yāqūtun dtmu'jama al'udabā'imaktabatu 'īsā albābiyyi alḥalbiyyi
- al-shk'h , muṣṭafā 1993). al'adaba fī mawkibi alḥaḍāarti al'islāmiyyati kuttāba al-nnathriālddāra almiṣriyyata al-  
llubnāniyyata
- ḍayfu al-lhi sayyida 'ismā'yl 2008). 'āliyyāti al-ssardi bayna al-sshifāhiyyati wa-al-kitābiyya#iālhay'iatu al'āmmatu  
liqūṣūri al-tthaqāfati
- ibna 'ibādīn al-ṣṣāḥiba dtrasā'ila al-ṣṣāḥibi bn 'ibādī taḥqīqa 'abdālwahhābi 'azzāmi washawqiyya ḍayfidāra alfikri  
al'arabiyyi
- 'āshūrūn , 'umarun 2010). albinyata al-ssardiyyata 'inda al-ttayyibi ṣāliḥdāru hawmatu lil-ttibā'ati wa-al-nnashri
- 'abdāllahun , muḥammada 2011). 'awarāqin mukhtāratin min multaḡā al-ssardi al'arabiyyirābiṭatu alkuttābi  
al'urduniyyina miṭba'ata al-ssafiri
- ibna fārisin 'aḥamdun dtmu'jama maqāyisi al-llughati taḥqīqa 'abdiālssalāami ḥārūnadāra alfikri
- alfarāhīdiyyu , alkhalīla bn 'aḥamīda 1998). kitābi al'ayni taḥqīqun dmahidī al-mkhwmy wadd'ibrāhym al-  
ssāmarrā'iyyadā'irata al-sshu'ūni al-tthaqāfiyyati wa-al-nnashri
- alfayrūzu 'ubādī 2005). alqāmūsa almuḥīṭa taḥqīqa maktabi taḥqīqi al-tturāthi fī mu'uassasati al-rrisāla#imu'uassasata  
al-rrisālati
- murtāḍun , 'abdālmalika 1993). 'allafa laylatun walaylatu dirāsata simā'iyyata liḥikāyati ḥammāli baghdādīalmaṭbū'āti  
aljāmi'iyyati
- murtāḍun , 'abdālmalika 1998). fī nazariyyatu al-rriwāya#i'ālamu alma'rifati 240. alkū'aytu.
- almarzūqiyyu , samīrun washākirun jamīla 1986). madkhalun 'ilā nazariyyati alqiṣṣa#iālddāru al-twnisiyyatu

almasadiyyu 'abdiāssalāmi 1994). almuṣṭalaḥa al-nnaqdiyyamu'uassasātu 'abdālkarīmi 'abdāllahin lil-nnashri wa-al-ttawzī'i

almas'ūdiyyu .(1968 ) al-ttanbiha wa-al-'ishrāfadāru al-tturāthi

ibna manzūri 2000). lisāna al'arabidāru ṣādiru

wahibatun ,majdiyyun wa-al-muhandisa kāmila 1984). mu'jama almuṣṭalaḥāti al'arabiyati fi al-lughati wa-al-'ādabi  
ṭ 2). maktabata lubnānin

yaqīninun ,sa'ida 2006). 'intāja al-nnaṣṣi al-riwā'iyyi ṭ 3). almarkaza al-tthaqāfiyya al'arabiyya

## Narrative tendency in the letters of Al-Saheb bin Abbad

Ammar Abdulaziz Assaf <sup>(1)</sup>

### Abstract:

This research sheds light on the narration in the letters of the Minister Al-Sahib Bin Abbad. The writer employed this technique in reporting the events of the battles that took place between the Albuayhiyn and their opponents, especially those battles that lasted for a long period of time and interspersed with many events affecting the course of relations between the rival princes.

The research links the narration with other elements that dominated the writer's composition while writing. This is because this narration was not meant to convey the events, but was rather saturated with other goals implicit in the text. These goals were manifested in the elevation of the prince's status as the party that represents the good, while the other party (the opponent) represents the evil.

Based on this duality, Al-Saheb bin Abbad narrates the events of the battles that took place between Adad al-Dawla al-Buwayhi and Qaboos bin washamkir. He used narration as a technique to influence the consciousness of the recipient and disseminate ideas that elevate the authority of Prince Adad to the state. He also shows Prince Qaboos bin washamkir as a treacherous man who has not kept the covenant.

**Keywords:** narrative, time, place, influence, description, transmission, construction, values, recipient, events.

---

(1) Ministry of Education (Alain - U.A.E.)  
mmar.assaf1976@gmail.com